كلمة التحرير

جمال الدين محمد البرزنجي رجل العمل المؤسسي في ذمة الله

هيئة التحرير

يصدر هذا العدد من مجلة "إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر" بعد أيام من وفاة الدكتور جمال برزنجي يرحمه الله، الذي كان له إسهام كبير في تأسيس المجلة وإدارة تحريرها منذ صدورها. فقد كان مدير التحرير منذ تأسيس المجلة صيف عام ١٩٩٥م لمدة سنتين وعمل في هذه المدة مع رئيس التحرير المؤسس وقتها الدكتور طه جابر العلواني، على إرساء تقاليد متميزة في إدارة تحرير المجلة بصورة مؤسسية فريدة. ثم ترأس تحرير المجلة لمدة أربع سنوات، ثم اكتفى بأن يكون عضواً في هيئة التحرير حتى وفاته يرحمه الله. وعلى الرغم من عِلْمِنا في إدارة التحرير في السنوات الأربع الأخيرة، بمشاغله الكثيرة، وظروفه الصعبة، ومرضه المؤلم، فقد كنا نلجأ إليه في بعض المسائل ذات الصلة بمسائل السياسة العامة للمجلة، والمسائل التي يلزم فيها ترجيح الرأي فيما اختلفت فيه الآراء، وكان دائماً حاضر العطاء، سديد الرأي، حكيم القرار.

ومن الإنصاف والتحدُّث بفضل أهل الفضل، أن نؤكد بهذه المناسبة أن المرحوم البرزنجي قد أعطى هذه المجلة من اهتمامه برسالتها المتميزة، وحرصه على منهجية العمل في إدارتها، من مهنية عالية، وعلمية رصينة، ومؤسسية دقيقة، منذ بدء صدورها، ما جعلها مجلة رائدة في مجال التفكير والبحث المنهجي، ومنبراً للاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي.

إن مما نعرفه في الفكر الإسلامي، والفكر البشري بعامة، أن خير العمل ما دام واستمر، وخير وسيلة لاستمراره هو قيامه على الأداء المؤسسي، الذي لا يرتبط ارتباطاً مصيرياً بمن بدأ العمل، وأسّس له، وخطَّ مسيرَته، وإنما يستمر حتى بعد غياب ذلك

المؤسس. لذلك إن مفهوم ديمومة الأفكار ونجاعتها مرتبط بقدرة الحاضن على تفعيل هذه الأفكار، ونقلها من الذاتية والفردية المتصلة بالتفكير الأحادي إلى الجماعية والمؤسسية، فكم من أفكار قيّمة ماتت بموت صاحبها، أو تلامذته؟! وكم من مدارس فكرية واقتصادية وسياسية لم تجد استمرارية لها، لأنها ارتبطت بأفرادها لا بمؤسساتها!

وهذه المجلة مثال واحد على المؤسسات التي أسهم الدكتور جمال البرزنجي في بنائها وإدارتها، وواصلت عملها دون إدارته المباشرة. لكنَّ الذي يعرفه يعلم أنه بَنَى وأسهم في بناء عشرات المؤسسات في مجالات متعددة من العمل العام: الفكري، والخيري، والاقتصادي، والسياسي، والتربوي...، وفي بلدان متعددة من العالم. ومع إسهامه المتميز في كل ذلك، فإننا لم نسمع منه يوماً أنَّه تحدث عن إسهامه الشخصي. لقد كان يتحدث دوماً عن "الفريق" الذي قام ببناء المؤسسة، ثم عن فضل من تسلّم أمانة المسؤولية بعد أن أخلى الفريق المؤسس المكان لمن بعده، ليتفرغ الفريق لبناء مؤسسة جديدة. ومن المعلوم أن الحضارات في معظم دوراتها الحضارية لا تلتفت إلى دور الفرد إلا في إطاره الجمعي، وفي دوره داخل المؤسسة بما يحدثه من تفاعل مع غيره ومع بيئته. وبذلك ضرب لنا الدكتور البرزنجي مثالاً مشرقاً في تبيّن طبيعة العمل المؤسسي؛ إذ هو علاقة تفاعل بين الفرد والفرد، والفرد والفكرة، والفكرة والمجتمع. وفيه يبرز مفهوم الدور الذي يشير إلى تصور جماعي اجتماعي، وهذا التصور الجماعي الاجتماعي يبرز مفهوماً آخر على درجة كبيرة من الأهمية، وهو مفهوم الأداء، الذي يشير إلى تفاعل داخلي بين أفراد المؤسسة، وتفاعل خارجي مع البيئة بمفهومها الواسع.

بمثل هذه الروح المؤسسية، ومنهجية عمل الفريق، والثقة بقدرة الآخرين على حمل المسؤولية، عرف الحضور الإسلامي في أمريكا الشمالية، على سبيل المثال، مئات الشخصيات القيادية التي تستحق التنويه نتيجة لاكتسابها خبرة العمل المؤسسي في اتحاد الطلبة المسلمين، والاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية، والوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية، ومجمع الفقه الإسلامي لأمريكا الشمالية، وجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين، وجمعية العلماء والمهندسين المسلمين، والجمعية الطبية الإسلامية، والاتحاد

العالمي لجمعيات الطلبة المسلمين، ومئات المراكز الإسلامية المحلية في الولايات والمدن الأمريكية.

روح الفريق، والثقة المتبادلة بين أعضائه، وإعمال الشورى، والمسؤولية المشتركة، كل ذلك من كفايات أساسية في العمل المؤسسي الذي عرفناه فيما كان الدكتور البرزنجي يدعو إليه ويمارسه. ولكن العمل المؤسسي يمر أحياناً في مواقف يشتد فيها اختلاف الرأي، ويلزم فيها أحياناً ممارسة درجة من التحليل النقدي لآراء الآخرين من أعضاء الفريق. ومن المألوف أن النقد يحتاج إلى جرأة استثنائية في بعض الأحيان عند من يوجه ذلك النقد، ومن المألوف أن يكون أثر النقد قاسياً بعض الأحيان على من يوجه النقد إليه. ونشهد أن الدكتور جمال برزنجي كان يتمتع بتلك الجرأة الاستثائية في توجيه النقد حين يلزم، ويتمتع بسعة صدر استثنائية على تحمل النقد حين يوجه إليه. وهذا أنموذج ناصع حول ضرورة تمثّل المؤسسة –الفكرية خاصة– مناخاً مناسباً ومهيئاً لإحداث الحراك المنشود في المجتمع. وتُعدّ الحرية في التفكير والممارسة أهم متطلبات سيرورة خطاب المؤسسة؛ فالحرية إحدى المصالح الأساسية والضرورية التي يقوم عليها المجتمع. وبما أن الخطاب المنبثق عن المؤسسات الثقافية والفكرية هو خطاب نقدي تغييري، بالمعنى المجتمعي للتغيير، فإن الحرية وخطابها من مرتكزات رؤيته وعمله.

امتلك الدكتور جمال برزنجي خبرة متنامية في مجال التطوير والقيادة لكثير من المنظمات والمؤسسات في مجالات الأعمال، والتعليم، والمراكز البحثية، والعمل الخيري والاجتماعي. فقد قاد عدداً من هذه المؤسسات إلى النجاح والنمو والاستقرار التنظيمي والمالي، وكان حرصه على نجاح المؤسسة واستقرارها بعد مغادرته لها لا يقل عن حرصه على نجاحها وهو في قيادتها.

لقد أصبح الدكتور جمال برزنجي خبيراً في شؤون العمل المؤسسي، لكن العمل المؤسسي عنده تجاوز كونه عملاً في مؤسسة وحسب، وإنما هو عمل جماعي بعقلية مؤسسية، ووفق منهجية مؤسسية، تقوم على مجموعة محددة من المبادئ والقيم المشتركة بين جميع العاملين في المؤسسة، واستراتيجية تقود عملها إلى حالة من الاستقرار

والاستمرار في مجالات الإنجاز والنمو. ولقد كان إيمانه بالعمل المؤسسي يقيناً لا مرية فيه، لما للعمل المؤسسي من دور كبير في نقل الأفكار من المخزون الذاتي للفرد إلى التجلي المجتمعي، ومن القصور في الأداء إلى فِعل الإنجاز، ومن الارتباك في اتخاذ القرارات إلى الثقة في التخطيط والتنظيم والتنفيذ، ومن الارتجالية إلى التنظيمية، ومن سكون الفكرة إلى حركيتها، ومن قوتها إلى فعلها. وهذا يدلّ على القدرة الكبيرة في تنظيم الفكرة وبلورتها وإدارتها وتكييفها، لتتسق مع روح العصر وضروراته.

والجدير بالذكر أن ننوه بهذه المناسبة ببعض خصائص العمل المؤسسي؛ تلك الخصائص التي كشفت عنها الخبرة والتجربة، ومن أهم هذه الخصائص التأكد من قدرة المؤسسة على التخطيط والاستعداد لحالات الطوارئ والظروف الاستثنائية، بما في ذلك التخطيط للقيادة البديلة عند الحاجة. ولعله من المعلوم بالضرورة في علم الإدارة بأن التخطيط يُعد رُكناً مهماً من أركان المؤسسة وصناعة الأفكار فيها، فهو يُحدّد الأهداف، ويضع السياسات، وطرق العمل، وإجراءات التنفيذ، والتنبؤ الجيد لتقليل الأخطاء، وتحديد الزمن والميزانية... والتخطيط بهذا التوصيف دليل واضح على العقل المنظم، الذي يبتعد عن العفوية والارتجالية في اتخاذ القرارات.

ومن هذه الخصائص صياغة وصف واضح لمهام كل فرد في المؤسسة والتأكد من قدرة ذلك الفرد على فهم مهام الآخرين والتعامل معهم، بروح العمل المشترك والتعاون والتكامل لتحقيق الإنجازات المنشودة. ومنها كذلك، تعاون العاملين في المؤسسة في تشخيص التحديات والعقبات القائمة أو التي يمكن أن تظهر، واكتشاف الفرص المتاحة للنمو والاستعداد لاستثمارها. ويتطلب ذلك حساسية مرهفة، وفراسة عميقة، وقدرة على الاستشراف والتنبؤ، وانفتاح على الجديد.

ومع كل ما للعمل المؤسسي من مزايا وفضائل، فإن ذلك لا يعني إهمال القدرات والكفاءات والمبادات الفردية، فمن بين عناصر الثقافة المؤسسية إطلاق قدرة العاملين فيها على المبادرة الفردية والإبداع والابتكار.

إن الخصائص الشخصية والقدرات الفكرية والعملية التي تميّز بها الدكتور البرزنجي قلّما تجتمع في شخص واحد. ومن هذه الخصائص: التفكير المستقبلي والاستراتيجي، وحسن الإدارة، والجرأة والمبادأة والاجتهاد في فهم المسائل والمواقف وتحليلها، واستشراف مآلاتها. يحِبُّه كلُّ من يعرفه، فهو في غاية التواضع، ويسعى في خدمة صاحب الحاجة، وكأنها حاجته. مرّت به كثير من الظروف الصعبة لكنها لم تُفْقِدْهُ صَبْرَه وتجلُّدَه وتفاؤله، فلم تعرف الشكوى إلى لسانه سبيلاً.

نحسبه من أهل التقوى في دينه وخلقه ومعاملاته، يحسن تلاوة القرآن الكريم والاستشهاد به والاجتهاد في تنزيل أحكامه، ويتكلم بالعربية الفصيحة بطلاقة قلما تتوفر للمتخصصين في اللغة، ويتحدث بالإنجليزية كذلك بطلاقة ملحوظة. هادئ صبور، يحسن الاستماع والاستيعاب لمن يتحدث إليه. وإذا تحدث بدأ بما يلزم من مقدمات، واستجمع عناصر الموضوع، ليستخلص النتائج المناسبة. أما في حالات الاستفزاز والغضب فمثال في الاستيعاب والحكمة وإدارة المواقف.

ولد الدكتور جمال برزنجي في العراق عام ١٩٣٩، وأرسل في منحة دراسية إلى بريطانيا فحصل على بكالوريوس الهندسة الكيميائية وتكنولوجيا الطاقة من جامعة شيفيلد عام ١٩٦٢، وعاد إلى العراق ليعمل في وزارة الطاقة. ثم سافر إلى الولايات المتحدة لمواصلة الدراسات الجامعية العليا، فحصل على شهادة الماجستير والدكتوراه في الهندسة الكيميائية مع تخصص فرعي في الإدارة من جامعة لويزيانا الحكومية، في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٤. شارك في التأسيس والإدارة وتقديم الاستشارات لكثير من المؤسسات الإسلامية: الدعوية، والخيرية، والاستثمارية، والمهنية... في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وبلدان العالم الإسلام. منها جمعية الطلبة المسلمين في بريطانيا، والاتحاد الإسلامي العالمي للجمعيات الطلابية (إِفْسُو)، واتحاد الطلبة المسلمين، وجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين، وجمعية العلماء والمهندسين المسلمين، ومؤسسة الوقف الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، والمنتدى الإسلامي العالمي للعلوم والتكنولوجيا وتطوير الموارد البشرية (افتخار)، ومؤسسة سار، ومؤسسة مار–جاك، وأمانة، وغيرها كثير.

ويُعَدُّ الدكتور جمال برزنجي أحد أعمدة بناء الحضور الإسلامي في الغرب، دون أن يتوانى في متابعة شؤون الأمة وقضاياها في العالم الإسلامي. عرفَتْ فضلَه وكرّمَتْه كثير من المؤسسات العربية والإسلامية والأمريكية. فقد منحه الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية "جائزة خدمة المجتمع" تقديراً لخدماته للإسلام والمسلمين في الغرب على مدى خمسين سنة. وقدمت له الجالية العربية في ولاية فرجينيا بحضور حاكم الولاية جائزة "الإنجاز مدى الحياة". وكرّمه المركز الإسلامي في منطقة دالاس في فرجينا الشمالية بجائزة "خدمات متميزة مدى الحياة" لما قام به من خدمات إنشاء ورعاية المركز وخدمة الإسلام في المنطقة. ومنحه المركز العالمي للأديان والدبلوماسية جائزة: "الإيمان في العمل" لجهوده في تعزيز مكانة الفكر الإسلامي في أنحاء العالم للتعامل مع تحديات الحداثة. كما منحته لجنة العلاقات الأمريكية الإسلامية "جائزة الإنجاز مدى الحياة" بوصفه أحد الرواد المسلمين في أمريكا في مجال "التفاني في خدمة المجتمع".

لقد عملنا معه عن قرب في عدد من مجالات البحث، والنشر، والإدارة، في المعهد العالمي للفكر الإسلامي لأكثر من ربع قرن، ورافقناه في السفر والحضر، ونشهد أننا أحببناه وتألمنا أشد الألم لمرضه، ثم لوفاته. نسأل الله أن يعين عائلته على مصابهم فيه، ويعين المعهد العالمي للفكر الإسلامي على فقده. ويرزق أمتنا من أمثاله ما يكون خير العوض.

وكان المرحوم جمال برزنجي قد انتقل إلى رحمة الله فجر اليوم السبت ١١ ذي الحجة ١٤٣٦ (٢٦ سبتمر ٢٠١٥) بعد مرض عضال كان فيه مثالاً لصبر لا يلحقه كلل، وأنموذجاً لعزيمة لا ينتابها ملل، وعلى قسوة المرض وشدته فإنه لم يفقد بسمته وتفاؤله وهمَّته. ومع أن ساحة الفكر الإسلامي في العالم وساحة العمل الإسلامي في الغرب فقدت بغيابه شخصية قيادية فذَّة، قلّ نظيرها، فإن الله سبحانه هو من يتولى الأمر من قبل ومن بعد، ودعاؤنا إلى الله عزَّ وجلَّ إن يعوّض الأمة خيراً، ويهيئ لها مِنَ الكفاءات القيادية مَنْ يواصل حمل الأمانة وأداء الرسالة، إنه سميع مجيب. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا على فراقك يا أبا صهيب لمحزونون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نسأل الله له الرحمة والرضوان، ولأهله، وذويه، ومحبيه، جميل الصبر وحسن العزاء.